وقد وقفت طويلا عند قول المحققين « ونحن نجد في الرسائل نزعة واضحة إلى القول بالاعتزال والدعوة إليه » . فهذا البحث ، وأعني به الاعتزال والكلام وما يتصل بهما مما تهفو إليه نفسي ، وكنت أحب أن أجد في الرسائل ما يشبع رغبتي ، صحيح إن ياقوت يقول عنه إنه كان « مثل أبيه يذهب مذهب الاعتزال » . غير أن قول ياقوت يحتاج إلى تأييد من نصوص الصاحب نفسه . والذي اعتمد عليه المحققان في نسبة الاعتزال إليه ما جاء في الرسالة التاسعة من الباب العاشر « مولاي يتدين بتعديل ربه ، ويعرف مواقع اللطف في صنعه ، ولا يشك في اقتران الصلاح بفعله » . وهما يعتمدان أيضاً على رسالتين في الباب السابع عشر حيث يقول في الرسالة الثانية إلى أحد الشيوخ بعد كلام « وعلى هذا الذكر فقد كان هذا البلد من البلاد المستغلقة على أهل عدل الله وتوحيده والتصديق بوعده ووعيده . هذا وفي فقهائه وفور وفي الفضل به ظهور ... » وشهرة المعتزلة بأنهم أهل العدل والتوحيد ، والوعد والوعيد ، أعظم من شهرتهم بالتعديل والصلاح.

وجاء في الرسالة الثالثة تحت هذا الباب نفسه ، يكتب إلى إلى أهل الصيمرة « ... ووصل كتابكم ... إذ كنتم بحمد الله ومنه ، وطوله وفضله ، المشتهرين بالذب عن توحيد الله وعدله ، وصدقه في وعيده ووعده ، وكان بلدكم من بين البلاد كغرة أدهم وشهاب في ليل مظلم ، وما في النعم أجل موقعا ، وأهنأ مشرعاً من النعمة في القول بالحق والدعاء إليه ، والتدين به والبعث عليه ، ومهانة من شبه الله بخلقه ، فتتابع في جهده ، أو جوره في فعله فشك في حسن نظره وطوله» وهذا نص آخر أكثر في الاعتزال بياناً ، فيه العدل والتوحيد ، والصدق في الوعد والوعيد ، ونفي التشبيه ، وامتناع التجوير .

وهنا نستطيع أن نطمئن إلى ما ذكره عنه ياقوت من أنه كان يذهب مذهب الاعتزال . ولكن الدكتور عزام بك والدكتور ضيف لا يطمئنان إلى أن الاعتزال « أكان هذا من عمله هو ، أم من عمل الدولة ، فقد كان عضد الدولة يذهب — فيما يظهر — إلى الاعتزال » .

وبعد فإنا نهنىء المكتبة العربية بهذا الظفر الأدبي ، وبهذه الدراسة العميقة الممتعة ، ونرجو أن ينهج الذين يخرجون المخطوطات هذا النهج السليم .

أحمد فؤاد الأهواني

شجرة الدر

(تأليف الأستاذ محمد سعيد العريان)

اتجه الأستاذ محمد سعيد العريان منذ زمن إلى القصص التاريخي الذي يجمع إلى عرض التاريخ وتحقيق حوادثه المتعة الفنية الأدبية ، وقد عني بتاريخ مصر في العصور الإسلامية ، يجول في نواحيه بمصباح المؤرخ ، ويسرح بين وقائعه بخيال القاص الأديب . وأول عمل له في هذا الحقل قصة « قطر الندى » ثم أخرج بعدها « على باب زويلة » وفي شهر نوفمبر الماضي أخرجت له دار المعارف قصة « شجرة الدر » في سلسلتها الشهرية (اقرأ) .

تقع حوادث هذه القصة في نحو ربع قرن من الزمان ، يقع فيها أواخر العصر الأيوبي وأوائل عصر المماليك البحرية ، تبدأ في حصن كيفا الذي اتخذه الأمير نجم الدين أيوب قاعدة لإمارته في الشرق حيث ظفر هناك بالجارية الصغيرة الحسناء « شجرة الدر » التي ولدت له فيما بعد وأصبحت زوجته ، وتنتقل حوادث القصة إلى الغرب مع ركب الأمير نحو مصر ، بعد أن بلغه نعي أبيه الملك الكامل ، وقد عول على أن ينتزع العرش من أخيه العادل الذي كان أبوهما قد ولاه العهد ، فيتم له ذلك بعد وقائع ومخاطر في الطريق كانت شجرة الدر عونا له على اجتيازها والتغلب عليها ويصبح الأمر في مصر للملك الصالح نجم الدين أيوب ، وإلى جانبه زوجته شجرة الدر تعاونه بسديد رأيها وحكم تدبيرها . حتى يغزو الصليبيون مصر بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا ، فينزلون إلى دمياط ويهزمون الحامية ، ويقصدون إلى المنصورة التي اتخذها الملك الصالح قاعدة له في ذلك الوقت ، وتتجمع القوى المصرية فتفتك بالصليبيين فتكا ذريعاً ، ويؤسر لويس التاسع ، ثم يضطر المعتدون إلى إغلاء فدية ملكهم ويخرج من بقي منهم إلى بلادهم مدحورين . وفي أثناء ذلك يموت الملك الصالح وتخفي شجرة الدر أمر موته حتى يحضر ولده الأمير توران شاه من المشرق فيأخذ مكان أبيه ، ثم يقتله أمراء الجيش من المماليك الذين كان يستعين بهم الملك الصالح في حروبه ، وقد أبلوا في قتال الصليبيين وهزيمتهم . فتتولى الملك شجرة الدر ثم تتزوج أحد أمراء المماليك (أيبك الجاشنكير) وتخلع نفسها وتوليه ، ثم تقتله ، وتمتنع في برجها بالقلعة في حماية مماليكها حتى تموت.

ساق الأستاذ العريان تفاصيل هذه الحوادث في قالب من الخيال القصصي الممتع ، وتسير معه وهو ينسق أشتاتا من الأحداث

ويصور فنونا وألوانا من نوازع النفوس فتشعر بأنك تعيش فى جوها وتعاشر أناسها ، كأن الكاتب سحرك فنقلك معه إلى حيث يضطرب خياله .. وقد بلغ الغاية فى ذلك عندما هجم الصليبيون على قصر الملك الصالح بالمنصورة ، وتصدى لهم فرقة الحرس برياسة الأمير بيبرس ، وكانت شجرة الدر ترقب المعركة من النافذة وقد أهابت بفتاة من وصيفاتها يحبها بيبرس لتهتف به وتسمعه صوتها ، فتهتف الفتاة : « بيبرس بيبرس ! هذا يومك يا بيبرس ! » فيرفع إليها عينه ، ويجول بسيفه فى الرقاب يقد الضلوع ويشق المرائر ويطيح الهام ويجندل الأبطال ، ويقضى هو وجنوده على جيش العدو ، فلا يبقى منه إلا الفارون .

وهدف القصة الأول تحليل شخصية شجرة الدر . وما وصل المؤلف إلى أواخر القصة حتى وجه كل همه إلى هذا الغرض ، فصور نوازع هذه المرأة الطموح وهى تحرص على المجد والسلطان وصور طبيعتها الأنثوية فى معاملة الزوج وفى غيرتها وانتقامها — أدق تصوير .

ومن المفهوم أن المؤلف فى هذا اللون من القصص التاريخى يحافظ على الحقائق التاريخية التى يلبسها ما ينسج من أثواب الخيال ولهذا وقفت عند ما أتى الأستاذ سعيد بخبر مجىء توران شاه إلى مصر والمناداة به سلطانا عليها بعد أن انتهى أمر الصليبيين ، كأن توران شاه لم يشترك فى قتالهم ، وقفت عند هذا ، لأنى أعلم مما اطلعت عليه من كتب التاريخ أن توران شاه حضر وقت اشتباك الحرب وكان له فى قتال الأعداء بلاء ، وعرض الأستاذ أمر العلاقة بين الأمير نجم الدين وبين شجرة الدر على أنها فى أول الأمر جارية مملوكة له ، ولما ولدت له ابنه خليلا قال إنها أصبحت زوجته ، ومن نظام الأحوال الشخصية فى الإسلام أن الجارية أم الولد غير الزوجة ، ولم يذكر الأستاذ أن الأمير عقد زواجه عليها ، ثم سار فى القصة على أنها زوجته

وثمة شىء قد ارتضاه الأستاذ المريان فى حبكة القصة ، ولكنى أخالفه فيه ، هو ذلك التنجيم ، من حيث الحديث عنه وسياقه على أنه محقق الوقوع . ولست أنكر ما كان للتنجيم من شأن وذيوع فى تلك العصور ، ولكن أرى عند الإتيان به أن تسلط عليه أشعة تكشف أباطيله أو تشكك فيه على الأقل ، فلم أكن مع المؤلف فى الرأى لما سخر الأقدار فى تحقيق كل ما تنبأ به أبو زهرة المنجم بجملته وتفاصيله !

العباس خضر

معانى الفلسفة

(تأليف الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى)

ما أقدر الله أن يجعل الفلسفة كلها — منذ نشأتها إلى اليوم — فى كتاب محدود الصفحات . وذلك عمل يحتاج إلى التركيز والضغط أقل مما يحتاج إلى التفهيم والفهم . فإن ضغط الأسفار الضخام إلى سفر واحد صغير يبدو فى ذاته عملا سهلا ومركبا هينا ، ولكنه فى الحق يحتاج إلى أدوات من حسن الاستعداد وهضم المادة ومطاوعة التعبير حتى يكون طيعا للمعانى الموجزة والأفكار المركزة .

وأظن هذه الأدوات قد اجتمعت للدكتور الأهوانى فجاء كتابه فى معانى الفلسفة على خير ما تجىء عليه كتب الخلاصات العلمية التى كونتها قراءات وأمدتها مطالعات بين القديم والحديث ، وبين العربى والإنجليزى والفرنسى .

وقد فرح مؤلف الكتاب لأنه رأى الناس — يعنى ناس العرب — يقبلون على الفلسفة ، بعد أن ظلوا بعيدين عنها نافرين منها . وهى فرحة الزارع حين يحصد ، لأن صديقنا المؤلف اشتغل بتعليم الفلسفة ولا يزال مشتغلا بها . ولكنه — أثابه الله — ما باله يضيع وقته ويفنى عمره فى تعليم الفلسفة مع أنه يقرر فى الصفحات الأولى من الكتاب أن كل إنسان ما دامت له نظرة فى الحياة فهو فيلسوف . وقد يكون هذا الكلام مقبولا من أديب أو شاعر ، أما أن يصدر من مشتغل بالفلسفة ومعلم لها فذلك مالم أستطع أن أفهمه . وأنا أجد أن أصحاب الصناعات دائما يحاولون تعميتها على غيرهم ويلبسونها ثوبا من الرهبة المحوطة بالغموض . ولكن الدكتور الأهوانى يكشف بضاعته من الفلسفة فى غير خفاء . ويهون فى أول الكتاب من أمر الفلسفة حتى ليجعل الناس كلهم فلاسفة ؛ فإذا مضيت معه فى ثنايا الكتاب وجدت الفلسفة على حقيقتها ليست شيئا كما يحاول أن يجعلنا نتصوره . ووجدت فى قوله بفلسفة كل إنسان فى الحياة مغالطة فى التعبير ؛ وأكاد أجزم أنها مغالطة مقصودة فى أول الكتاب ليستدرجنا بها إلى آخره ... ودليلى على ذلك أن المؤلف استدرجنى أنا إلى قراءة الكتاب لأميز على الأقل بين فلسفتى التى يزعمها فى ، وبين فلسفة الذين كونوا تلك المذاهب العالية . فأدركت آخر الأمر أننى كسكل إنسان عادى ...